المنهج اللغوي في تفسير البيضاوي

د. راشد بن حمود بن راشد الثنيان

قسم الدراسات الإسلامية –كلية التربية– جامعة المجمعة – المملكة العربية السعودية

المُلخَص

في هذا البحث بيان المنهج اللغوي في كتاب: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي رحمه الله.

هدف البحث: إظهار معالم المنهج اللغوي في تفسير البيضاوي.

خطة البحث:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وهدفه، وخطة البحث ، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

الفصل الأول: البيضاوي وتفسيره.

المبحث الأول: البيضاوي وحياته.

المبحث الثاني: تفسير البيضاوي ومنهجه فيه.

الفصل الثاني: الأساليب اللغوية في تفسير البيضاوي ومنهجه فيها.

المبحث الأول: الأساليب اللغوية في تفسيره.

المبحث الثاني: المنهج اللغوي في تفسيره.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: منهج، البيضاوي، اللغوي، تفسير، أسلوب، أنوار، التنزيل، أسرار، التأويل.

مُقَدِمَةُ :

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، وصلى الله على خير من أرشد وعلم، نبينا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فقد نزل القرآن عربياً على قوم يتكلمون العربية، فخاطبهم بلغتهم، وتحداهم به لفصاحتهم.

قال ابن قتيبة: (القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللّقن، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خفي)[(١)].

ولهذا نشأت الدراسات اللغوية متصلة بالقُرآن الكريم عند العرب، فكان هو الأصل الذي دارت عليه بفروعها المختلفة، ومن أشهر التفاسير التي اعتنى بها العلماء شرحاً، وتحقيقاً، وتعليقاً، وتقريراً، وتميزاً في بسط علوم اللغة بأنواعها كتاب: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) لقاضي القضاة: ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي رحمه الله، وفي هذا البحث بيان لشيء من معالمه اللغوية، تحت عنوان: (المنهج اللغوي في تفسير البيضاوي)، سائلا الله الإعانة والتوفيق.

أهمية البحث: تظهر أهمية البحث في هذا الموضوع في أمور منها:

١- مكانة البيضاوي العلمية التي ظهرت في تفسيره، في جميع الفنون، وفي علوم اللغة خصيصاً وهو من ألف كتاب (لب الألباب في علم الإعراب)[(٢)] اختصاراً وتدقيقاً لكافية ابن الحاجب.

٢- تحقيق البيضاوي في المسائل اللغوية التي تمر في تفسيره وتدقيقه، وخوضه فيها خوض صاحب القدم الراسخة، مستعرضاً الاشتقاق، واستعمالات العرب فيها، وشواهدها من أشعارهم.

٣- عناية البيضاوي باختصار العبارة وسهولتها مع غزارة معانيها، واستخدام المصطلحات العلمية والتدقيق فيها.

٤- اهتمام العلماء به، ودراستهم له، وإقبالهم عليه، وتقبلهم له.

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٥٨.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٥٧.

أهداف البحث:

١- التعريف بالبيضاوي وتفسيره.
٢- بيان عناية البيضاوي بالأساليب اللغوية في تفسيره.
٣- إظهار المنهج اللغوي في تفسير البيضاوي.

خطة البحث:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وهدفه، وخطة البحث ، والدراسات السابقة، ومنهجي في البحث.
الفصل الأول: البيضاوي وتفسيره.
المبحث الأول: البيضاوي وحياته.
المبحث الثاني: تفسير البيضاوي ومنهجه فيه.
الفصل الثاني: الأساليب اللغوية في تفسير البيضاوي ومنهجه اللغوي فيه.
المبحث الأول: الأساليب اللغوية في تفسيره.
المبحث الثاني: المنهج اللغوي في تفسيره.
الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.
المصادر والمراجع. فهرس الموضوعات.

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات العلمية على تفسير البيضاوي في مختلف المجالات تركز أكثرها بوضع الحواشي على التفسير وإن لم يعم كل التفسير، حتى زادت على الأربعين حاشية[٣].

ومن الرسائل الجامعية:

١- البيضاوي ومنهجه في التفسير، ليوسف أحمد علي، رسالة مقدمة لجامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه بإشراف أ.د محمد شوقي خضر السيد.
٢- البيضاوي ومنهجه في التفسير، لعبدالرحمن بن علي البشري، رسالة مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الماجستير بإشراف د. محمود بسيوني فودة، عام ١٤٠٦هـ.
٣- البيضاوي مفسراً للدكتور عبدالعزيز حاجي، رسالة مقدمة لجامعة الفاتح بطرابلس لنيل درجة الماجستير، وطبع في دمشق دار الحسنين، دار حازم/ عام ٢٠٠٠م.

ومع كثرة المؤلفات لخدمة لهذا الكتاب إلا أنها ركزت على الشرح والتعليق والتحشية فحسب.

وأما هذه الرسائل العلمية فقد اقتصرت على المنهج العام للبيضاوي في التفسير وأهم مصادره وقيمته العلمية دون العناية بالمنهج اللغوي ضمن مباحث الرسالة، وبناء عليه؛ فلم أقف حسب اطلاعي على دراسة لمنهج البيضاوي اللغوي في تفسيره، مما دعاني للكتابة فيه، مشاركاً من سبق في خدمة هذا التفسير مقتصراً ومركزاً على الجانب اللغوي بإذن الله.

منهج البحث: اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في بيان الأساليب اللغوية ومعالم المنهج اللغوي في تفسيره.

أسأل الله الإعانة والتوفيق

الفصل الأول: البيضاوي وتفسيره.

المبحث الأول: البيضاوي وحياته العلمية.

أولاً: اسمه ونسبه: هو العلامة المفسّر قاضي القضاة، ناصر الدين، أبو الخير، عبدالله بن عمر بن علي البيضاوي الشيرازي، الشافعي[٤]، والبيضاوي: نسبة إلى بَيْضَاء بلدة قرب شِيراز، والشِّيرازي: نسبة إلى شِيرَاز وهي من أعظم مدن فارس[٥].

ثانياً: حياته العلمية، وثناء العلماء عليه:

ولد في بلدته البيضاء، ولم يشر أحد لسنة ولادته، ولكنه في أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع تقريباً، ونشأ في بيت علم ودين وبركة، أخذ العلم عن والده، كما تتلمذ على شيوخ عصره في مختلف المجالات، وبرع في القرآن وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة وعلومها، وبرع كذلك في علم المنطق والجدل والفلسفة، رحل إلى شيراز، قضى بها معظم حياته هناك، ولم يحتج إلى رحلات لاجتماع العلماء في شيراز آنذاك، فنهل العلم في الفنون، ثم قلد منصب قاضي القضاة في شيراز[٦].

أما عقيدته ومذهبه:

فقد كان البيضاوي متكلماً أشعرياً متصوفاً شافعي المذهب[٧]، ظهر ذلك في كتاباته في التفسير وغيرها من كتب العقيدة والمنطق والفقه وأصوله.

فمن أمثلة تأويله الصفات الخبرية تفسير قوله تعالى: [يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ..] {الفتح:١٠}.

قال البيضاوي: (حال أو استئناف مؤكد على سبيل التخييل)[٨].

وفي تفسير قوله تعالى: [الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ...] {غافر:٧}.

قال البيضاوي: (وحملهم إياه وحفيفهم حوله: مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أو كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ أمره)[٩].

---

(٣) محمد إدريس: اهتمام مفسري القرن الحادي عشر بتفسير البيضاوي أسبابه ومظاهره، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية – المجلد ٢٩- العدد الثاني ص ٥٠٢-٥٠٨.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٥٩.

(٥) الحموي: معجم البلدان ٢/ ٣٣٥.

(٦) للاستزادة: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٥٩، ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٣٩٢، الإسنوي: طبقات الشافعية ١/ ٢٨٣، ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٩، وغيرها من كتب التراجم.

(٧) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٥٩.

(٨) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٢٠١.

(٩) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٨٤.

من أهم مصنفاته:

إذا أمعنت النظر في المكتبة بحثاً عن مصنفات البيضاوي وجدت إحاطته في كل فن بنصيب، مما يظهر لنا مكانته العلمية في جميع العلوم، ومن أهم مصنفاته:

١- كتاب: الغاية القصوى في دراية الفتوى، في الفقه، اختصره من كتاب الوسيط في الفقه للغزالي[١٠].

٢- كتاب: منهاج الوصول إلى علم الأصول[١١]، في أصول الفقه اختصره من "الحاصل" للأرموي[١٢].

٣- وكتاب: طوالع الأنوار، في أصول الدين وعلم الكلام، مطبوع، قال عنه السبكي: (وهو أجلّ مختصر ألّف في علم الكلام)[١٣].

٤- وكتاب: شرح المصابيح، أي: مصابيح السّنّة للبغوي في الحديث، المسمى: تحفة الأبرار[١٤].

٥- كتاب: لب الألباب في علم الإعراب، اختصر فيه الكافية لابن الحاجب[١٥].

٦- كتاب: نظام التواريخ، كتبه باللغة الفارسية، ذكر فيه الأنبياء، والخلفاء، والأموية، والعباسية، ثم الصفارية، والسامانية، والغزنوية، والديالمة، والسلجوقية، والسلغرية، والخوارزمية، والمغولية[١٦].

٧- كتاب: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، في التفسير، وهو محل بحثنا هنا.

وغيرها من الشروح والمصنفات، ولم تكن هذه الكتابات مجرد جمع وتصنيف، وإنما كانت تحقيقاً وتدقيقاً، وجودة في الاستنباط والتحري، مما جعلها محل عناية العلماء بعده بالشرح والتحشية والتعليق والتدريس.

من ثناء العلماء عليه: قال السيوطي: (كان إماما علّامة، عارفًا بالفقه والأصلين والعربية والمنطق، نظّارًا صالحًا، متعبّدًا، شافعيًّا)[١٧].

وقال ابن قاضي شهبة: (صاحب المصنفات، وعالم أذربيجان، وشيخ تلك الناحية)[١٨].

من شيوخه وتلاميذه:

من أبرز شيوخه: والده، ونصير الدين الطوسي، وعمر البوشكاني، وغيرهم.

وأما تلاميذه، فأبرزهم: جمال الدين الكسائي، وروح الدين الطيار، وكمال الدين المراغي، وغيرهم.

وفاته: توفي سنة ٦٨٥هـ رحمه الله[١٩].

المبحث الثاني: تفسير البيضاوي ومنهجه فيه.

جاء تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تاجاً يكلل تلك الجهود العلمية الرائعة، وخلاصة يودع فيها أستاذيته في مختلف العلوم النافعة، وخصوصاً إذا علمنا أن البيضاوي ألّف تفسيره هذا بعد منتصف القرن السابع الهجري – أي في الحقبة الأخيرة من حياته-(٢٠).

ففرغ في هذا التفسير تجربته وخبرته، وعلومه التي تفنن فيها، فظهرت الاستنباطات المتميزة في تفسير كلام الله تعالى، فأبدع في مسائل اللغة وما يتعلق بها، كما اتضحت قوته الفقهية حينما يعرض أقوال الفقهاء ويرجح بين الأقوال، وإذا عرضت مسائل الأصول فهو البارع فيها، وكذلك في العلوم الأخرى[٢١].

التعريف بالتفسير:

يعتبر تفسير البيضاوي من أهمّ كتب التفسير بالرأي[٢٢]، فهو كتاب جليل دقيق، متوسط الحجم، جمع بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقرّر الأدلة على أصول السّنّة[٢٣].

وقد شرح البيضاوي شيئًا من منهجه في التفسير حيث قال في مقدمته: (ولطالما أحدِّث نفسي بأن أصنِّف في هذا الفن –يعني التفسير- كتاباً يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين ومَن دونهم من السَلَف الصالحين، وينطوي على نِكات بارعة، ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومَن قبلي مِن أفاضل المتأخرين، وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعْزيّة إلى الأئمة الثمانية المشهورين[٢٤]، والشواذ المروية عن القرّاء المعتبرين، إلاَّ أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام، ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام، حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته، والإتيان بما قصدته، ناوياً أن أسميه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل)[٢٥].

وهو بهذه المقدمة يشير إلى أنه جمع في تفسيره صفوة ما لدى السابقين، ولخصه من كتب التفسير تلخيصاً عارياً عن مواقع الزلل عند من سبقه، والله أعلم.

(١٠) ابن شهبة: طبقات الشافعية ٢/ ١٧٣، حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ١١٩٢.

(١١) وهو من أهم كتب الأصول عند الشافعية، مطبوع وله شروح كثيرة، منها: (نهاية السّول في شرح منهاج الأصول للبيضاوي) للإسنوي، ومنها: (معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي) تأليف شمس الدين الجزري، ومنها شرح البدخشي: (مناهج العقول) للإمام محمد بن الحسن البدخشي، وغيرها.

(١٢) الإسنوي: نهاية السول شرح منهاج الوصول ١/٦-٧.

(١٣) انظر: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٥٧، حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ١١٩٢.

(١٤) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ١٦٩٨، البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ١/ ٤٦٣.

(١٥) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ١٥٤٦، البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين ١/ ٤٦٣.

(١٦) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ١٩٥٩.

(١٧) السيوطي: بغية الوعاة ١/ ٤٩٢.

(١٨) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية ٢/ ١٧٢.

(١٩) انظر: ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٣٩٢، الإسنوي: طبقات الشافعية ١/ ٢٨٣، ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٩.

(٢٠) انظر: ابن عاشور: التفسير ورجاله ٩١-٩٢.

(٢١) انظر أمثلة على ذلك: يوسف أحمد علي: البيضاوي ومنهجه في التفسير ٦٥-٨٩.

(٢٢) انظر: محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٥٣٥.

(٢٣) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ١٢٨، الذهبي: التفسير والمفسرون ١/ ٣٠٥.

(٢٤) السبعة ويعقوب.

(٢٥) انظر: البيضاوي: مقدمة التفسير.

ومن أهم معالم هذا التفسير:

١- يتضح جليًا أن البيضاوي اعتمد كثيراً في تفسيره على كتاب الكشاف للزمخشري وميّزه بترك ما فيه من الاعتزال[٢٦]، قال السيوطي: (وسيد المختصرات منه –أي الكشاف- كتاب: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للقاضي ناصر الدين البيضاوي، لخصه فأجاد، وأتى بكل مستجاد، وماز منه أماكن الاعتزال، وطرح مواضع الدسائس وأزال، وحرر مهمات، واستدرك تتمات، فبرز كأنه سبيكة نُضَار، واشتهر اشتهار الشمس في وسط النهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكبّ عليه العلماء والفضلاء تدريسًا ومطالعة، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارعة، ومرّوا على ذلك طبقة بعد طبقة، ودرجوا عليه من زمن مصنفه إلى زمن شيوخنا متسقة)[٢٧].

٢- يأتي في الدرجة الثانية من مصادر البيضاوي في تفسيره: التفسير الكبير للفخر الرازي، وبه تأثر عند عرضه للآيات الكونية ومباحث الطبيعة، ولكنه هذب عباراته، ولخص إسهاباته، وحرر استنباطاته[٢٨].

٣- ولخص ما في تفسير الراغب الأصفهاني المسمى: تحقيق البيان في تأويل القرآن، ما يتعلق بالاشتقاق ولطائف الإشارات، فأصبح من أمهات كتب التفسير التي لا يستغني عنها الطالب لفهم كلام الله عز وجل.

قال حاجي خليفة: (وتفسيره: هذا كتاب عظيم الشأن غني عن البيان لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات، وضم إليه: ما ورّى زناد فكره من الوجوه المعقولة والتصرفات المقبولة؛ فجلا رين الشك عن السريرة وزاد في العلم بسطة وبصيرة، ... ولكونه متبحرًا في ميدان فرسان الكلام فأظهر مهارته في العلوم حسبما يليق بالمقام، كشف القناع تارة عن وجوه محاسن الإشارة وملح الاستعارة، وهتك الأستارِ أخرى عن أسرار المعقولات بيد الحكمة ولسانها، وترجمان المناطقة وبنانها، فحل ما أشكل على الأنام وذلل لهم صعب المرام)[٢٩].

وبهذا الجمع بين التفاسير الثلاثة يكون قد جمع خلاصة ما وصل إليه التفسير في القرن السادس والسابع وهي أهم القرون التي شهدت نهضة علمية في جميع العلوم الإسلامية وعلم التفسير خصيصاً.

٤- كما يتبين أن البيضاوي رحمه الله مقل جدّا من الروايات الإسرائيلية، ويصدر الرواية بقوله: روي أو قيل .. إشعارًا منه بضعفها[٣٠].

٥- ذكر في نهاية كل سورة حديثًا في فضلها -كما وقع فيه صاحب الكشاف- وهي موضوعة باتفاق أهل الحديث وهذا من مما أُخذ عليه رحمه الله، ودافع عنه صاحب كشف الظنون فقال: (وأما أكثر الأحاديث التي أوردها في أواخر السور فإنه لكونه ممن صفت مرآة قلبه وتعرض لنفحات ربه تسامح فيه وأعرض عن أسباب التجريح والتعديل ونحا نحو الترغيب والتأويل عالماً بأنها مما فاه صاحبه بزور ودلى بغرور والله عليم بذات الصدور)[٣١]. وهذا لا يفي بالغرض، والغاية لا تبرر الوسيلة.

٦- هذا وقد ضمّن البيضاوي تفسيره نكتًا بارعة، واستنباطات دقيقة، كل هذا في أسلوب رائع موجز.

٧- عدم ترك الآيات الكونية بلا خوض في مباحث الكون والطبيعة، على طريقة تفسير الرازي دون توسع[٣٢].

٨- كما أنه يهتم أحيانًا بذكر القراءات، ولكنه لا يلتزم المتواتر منها، مع توجيه القراءة أحياناً[٣٣].

٩- أضف إلى ذلك أنه يتعرض لبعض المسائل الفقهية عند آيات الأحكام دون توسع منه، وقد ينص على مذهب الشافعي ويرجح غيره.

قال البيضاوي: (قال الله تعالى: [إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ] {البقرة:١٥٨}، قوله: [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ] فإنه يفهم منه التخيير، وهو ضعيف؛ لأن نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه، وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى: أنه واجب يجبر بالدم، وعن مالك والشافعي رحمهما الله: أنه ركن؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: "اسعوا فإن الله كتب عليكم")[٣٤].

---

(٢٦) مع أنه وقع فيما وقع فيه الزمخشري في بعض المواضع، حيث فسر المس بالجنون كالزمخشري في تفسير قوله تعالى: [الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...] {البقرة:٢٧٥} ، وذكر الأحاديث الضعيفة في نهاية تفسير كل سورة.

(٢٧) السيوطي: شوارد الأفكار ونواهد الأبكار على البيضاوي ١/ ١٣، السبكي: طبقات الشافعية ٨/ ١٥٧.

(٢٨) ابن عاشور: التفسير ورجاله ص ٩٤، يوسف أحمد: البيضاوي ومنهجه في التفسير ص ٢٣١.

(٢٩) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ١٢٧.

(٣٠) انظر: الذهبي: التفسير والمفسرون ١/ ٣٠٧، وانظر: تفسير البيضاوي ٤/ ١١٥.

(٣١) حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ١٢٨.

(٣٢) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٣.

(٣٣) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١٢٢، ٤/ ٢٧١، ٥/ ٣٤٣.

(٣٤) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٣٢.

وقال عند قوله تعالى: [فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ] {البقرة:١٩٦}، والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي رحمها الله تعالى لقوله تعالى: [فَإِذَا أَمِنْتُمْ]، ولنزوله في الحديبية، ولقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لا حصر إلا حصر العدو، وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لما روي عنه عليه الصلاة والسلام: "من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل" وهو ضعيف مؤول بما إذا شرط الإحلال به)[٣٥].

١٠- الاهتمام الكبير بالأساليب البلاغية والمسائل اللغوية، وهي ما سأبحثه في الفصل الثاني بإذن الله.

ونظرًا لما يحتله هذا الكتاب من أهمية في عالم التفاسير، فقد اعتنى به جمهور العلماء الأفاضل والفحول، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية، ومن أشهر هذه الحواشي وأكثرها تداولاً: حاشية قاضي زاده، وحاشية الشهاب الخفاجي، وحاشية القونوي[٣٦].

الفصل الثاني: الأساليب اللغوية في تفسير البيضاوي ومنهجه اللغوي فيه.

المبحث الأول: الأساليب اللغوية في تفسيره.

ذكر السيوطي رحمه الله أنواع العلوم التي يجب توفرها في المفسر، فأوصلها إلى خمسة عشر علمًا، ومن أولها: علم اللغة، وذلك لأهميته، وأهمية معرفة أساليبه لفهم القرآن، وبه يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع[٣٧].

قال مجاهد رحمه الله -وهو أحد أئمة التفسير-: (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالماً بلغات العرب)[٣٨].

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً)[٣٩].

وبدراسة تفسير البيضاوي تظهر عنايته بعلوم العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وشواهد شعرية؛ فقد أدرك البيضاوي ما لهذه العلوم من أهمية في فهم كتاب الله، ومن هنا كان اهتمامه بالعربية، حتى أصبح من الممكن تصنيف هذا الكتاب ضمن الاتجاه اللغوي البياني في التفسير.

ومن الأساليب اللغوية التي اهتم بها الإمام البيضاوي في تفسيره:

أولاً: الأساليب الإنشائية، ومنها:

١- الاستفهام:

تطرق البيضاوي لأسلوب الاستفهام من وجهة نظر لغوية ودلالية وتأويلية، وبين آثار هذا الأسلوب في جماليات النص القرآني، فقد تحدث عن الهمزة، وأم، وهل، ومن، وما، وأين، وأي، وكيف، ومتى، وأنى، وربط معاني هذه الأدوات بالمعنى الكلي للنص القرآني، فقد جعل البيضاوي المعنى جلّ اهتمامه.

-ومن ذلك قوله في همزة الاستفهام: (قال تعالى: [أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ] {البقرة:١٢} رد لما ادعوه، أبلغ رد للاستئناف به، وتصديره بحرفي التأكيد: ألا المنبهة على تحقيق ما بعدها؛ فإن همزة الاستفهام التي للإنكار إذا دخلت على النفي أفادت تحقيقاً، ونظيره [أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ] {القيامة:٤٠} ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بما يلتقي به القسم)[٤٠].

-وكقوله في تفسير قوله تعالى: ([أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] {البقرة:٨٠} أم: معادلة لهمزة الاستفهام، بمعنى: أي الأمرين كائن، على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما، أو منقطعة بمعنى: بل أتقولون، على التقرير والتقريع)[٤١].

-وكقوله في (هل) عند تفسير قوله تعالى: ([فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ] {الأنبياء:٨٠} ذلك أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع)[٤٢].

-وكقوله في تفسير قوله تعالى: ([أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ] {الفرقان:٤٣} بأن أطاعه وبنى عليه دينه، لا يسمع حجة ولا يبصر دليلاً، وإنما قدم المفعول الثاني للعناية به، [أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا] {الفرقان:٤٣} حفيظاً تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا؛ فالاستفهام الأول للتقرير والتعجيب، والثاني للإنكار)[٤٣].

-وكذلك قوله في (أي) من قوله تعالى: ([مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ] {عبس:١٨} بيان لما أنعم عليه خصوصاً من مبدأ حدوثه، والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله: [مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ] {عبس:١٩})[٤٤].

فحينما تستقرئ تفسير الإمام البيضاوي تلحظ اهتمامه بمعاني ألفاظ الاستفهام ودلالاتها حسب سياق الآيات، وهذه ميزة كبيرة جمع فيها بين بيان اللفظ والمعنى في عبارات موجزة، ومما نستفيد من تفسيره لأدوات الاستفهام في الأمثلة السابقة:

أ-أن الرد بالاستفهام المصدَّر في الكلام من أبلغ الردود.

ب-أن همزة الاستفهام التي للإنكار إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق.

ج-أن (أم) معادلة لهمزة الاستفهام، بمعنى: أي الأمرين؟.

د-أنها تفيد التقرير بوقوع أحد الأمرين، أو منقطعة بمعنى: بل، على سبيل التقرير والتقريع.

هـ-أن الأمر قد يخرج في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع.

و-توالي الاستفهامات في الآية مع اختلاف دلالة كل واحد منها.

ز-تنوع المعاني التي يأتي لأجلها الاستفهام من تقرير أو تعجيب أو تقريع أو إنكار أو تحقير وغيرها.

---

(٣٥) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٨٠.

(٣٦) انظر: حاجي خليفة: فقد ذكر ما يزيد على الخمسين حاشية، كشف الظنون ١/ ١٢٨، الذهبي: التفسير والمفسرون ١/ ٣١١.

(٣٧) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٤/ ٢٢٧.

(٣٨) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩٢.

(٣٩) البيهقي: شعب الإيمان ٢/ ٤٢٥.

(٤٠) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ١٧٠.

(٤١) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٣٥١.

(٤٢) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ١٠٣.

(٤٣) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٢١٩.

(٤٤) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٤٥٣.

٢- التعجب:

عرف البيضاوي التعجب بقوله: (حيرة تعرض للإنسان لجهله بسبب المتعجب منه)[٤٥].

وأسلوب التَّعجب بصيغته: ما أَفْعَل، وأَفْعِل به؛ من الأساليب الإفصاحية الانفعالية التي تنبع من عاطفة المتكلم، وعليه؛ فجملة التَّعجب جملة إنشائية لا تحتمل الصدق والكذب، وبين البيضاوي ما يفيده التعجب في مواضعه من تفسيره.

قال البيضاوي: (قال تعالى: [فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ] {البقرة:١٧٥} تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غيره مبالاة)[٤٦].

وقال أيضاً في قوله تعالى: ([أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ] {الكهف:٢٦} ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن آمره في الإدراك خارج عما عليه إدراك السامعين والمبصرين إذ لا يحجبه شيء، ولا يتفاوت دون لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي)[٤٧].

وإذا نظرنا لوجهة نظر البيضاوي وغالب المفسرين أن التعجب استعمل في القرآن بأساليب غير القياسية، فعرض لأدوات تفيد التعجب كالاستفهام، كما في قوله تعالى: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ] {البقرة:٢٥٨} حيث قال البيضاوي في تفسير همزة الاستفهام: (تعجيب من محاجة نمرود وحماقته)[٤٨].

فالاستفهام يأتي بمعنى التعجب وغيره من المعاني، وهذا كثير في القرآن.

٣- النداء:

النداء من الأساليب النَّحوية كثيرة الدوران في كلام العرب، إذ يستعمل في أول كل كلام لعطف المخاطب على المتكلم، فهو يشبه الأصوات المستعملة في التنبيه، وبالرغم من كثرة النداء في كلامنا، فهو ليس مقصوداً بذاته، بل جيء به لتنبيه المخاطب إلى ما يأتي بعد الكلام المنادى له.

يقول سيبويه: (أول كل كلام النداء، وإنما يترك في بعضه تخفيفاً، وذلك أن سبيل المتكلِّم أن ينادي من يخاطبه ليقبل عليه، ثم يخاطبه مخبراً له، أو مستفهماً أو آمراً، أو ناهياً)[٤٩].

ويقول أيضاً: (المنادى مختص من بين أمته لأمرك، أو نهيك، أو خبرك، فالاختصاص أجرى هذا على حرف النداء)[٥٠].

وقد ورد النداء في القرآن كثيراً، والمستعمل هو أم الباب: يا، وقد ورد حذف أداة النداء في القرآن.

قال ابن هشام: (وهي أكثر أحرف النداء استعمالاً، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها نحو: [يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا] {يوسف:٢٩})[٥١].

وأسلوب النداء مما اهتم به البيضاوي حيث قال: (و"يا" حرف وضع لنداء البعيد، وقد ينادي به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد؛ إما لعظمته كقول الداعي يا رب و يا الله؛ وهو أقرب إليه من حبل الوريد، أو لغفلته وسوء فهمه، أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه)[٥٢].

فبين موضع استعمال "يا" النداء وبين المعاني التي تدل عليها إذا استعملت في غير ما تستعمل له في الأصل.

ويشير البيضاوي إلى رأي البصريين والكوفيين في حذف أداة النداء في اللهم، وظاهر كلامه الميل إلى رأي البصريين، حيث يقول: ([قُلِ اللهُمَّ] {آل عمران:٢٦} الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل أصله يا الله أمنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته)[٥٣].

وقد ذكر البيضاوي الاختلاف بين أهل العربية في المنادى المضاف إلى ياء المتكم في فتح ذلك وكسره مع إجماع جمعتهم على أنهما لغتان مستعملتان عند العرب، فقرأ أهل البصرة (يا ابن أمَّ) بفتح الميم، وقرأ عامة قرأة أهل الكوفة: (ابن أمِّ) بكسر الميم[٥٤]، حيث يقول: ([**قَالَ ابْنَ أُمَّ**] {الأعراف:١٥٠} وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: هنا، وفي طه [**يَا ابْنَ أُمِّ**] بالكسر، وأصله: يا ابن أمي؛ فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفاً كالمنادى المضاف إلى الياء، والباقون: بالفتح زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيهاً بخمسة عشر)[٥٥].

٤- الأمر:

لمادة (أمر) دلالات قرآنية كثيرة، منها: الطلب، كقوله تعالى: [أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ] {البقرة:٤٤}، وبمعنى الشأن كقوله تعالى: [وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ] {هود:١٢٣}، وغيرها من الدلالات؛ إلا أننا نجد غلبة الدلالتين: الأمر بمعنى الشأن، وبمعنى الطلب، فهما أكثر الدلالات وروداً في القرآن الكريم.

وتخرج صيغة الأمر من معناها الأصلي فتفيد معاني أخرى تفهم من السياق مع القرائن ومقتضيات الأحوال، وقد أشار سيبويه في الكتاب إلى خروج الأمر عن دلالاته الوضعية إلى بعض المعاني البلاغية، وإن لم يضع لبعضها تسميات من ذلك قوله: (واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل: دعاء؛ لأنَّه استعظم أن يقال: أمر أو نهي، وذلك قولك: اللهم زيداً فاغفر ذنبه، وزيداً فأصلح شأنه، وعمراً ليجزه الله خيراً، وتقول: زيداً قطع الله يده، وزيداً أمر الله عليه العيش، لأن معناه: زيداً ليقطع الله يده)[٥٦].

(٤٥) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٩٠.
(٤٦) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٥١.
(٤٧) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٤٩٢.
(٤٨) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٥٥٩.
(٤٩) سيبويه: الكتاب ٢/ ٢٥.
(٥٠) سيبويه: الكتاب ٢/ ٢٣١.
(٥١) ابن هشام: مغني اللبيب ص ٣٦١، المرادي: الجنى الداني ص ٦١.
(٥٢) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢١٥.
(٥٣) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٢٣.
(٥٤) الطبري: جامع البيان ٣/ ١٢٩.
(٥٥) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٦١.
(٥٦) سيبويه: الكتاب ٢/ ١٤١.

ولذا فالبيضاوي كعادته يعرض لصور البيان وألوان البلاغة في القرآن، ويلتزم عرض الأديب الذائق فلا يجردها من الجمال ولا يعريها من البهاء.

فقد تناول أسلوب الأمر في معرض تفسيره لآيات القرآن الكريم، وأشار إلى خروج الأمر عن دلالته الأصلية إلى معانٍ بلاغية كالتعجيز والتبكيت في قوله تعالى: [قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] {يونس:٣٨}[٥٧].

وفي قوله تعالى: [وَجَعَلُوا للهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا] {إبراهيم:٣٠}

قال البيضاوي: (وفي التهديد بصيغة الأمر إيذان بأن المهدد عليه كالمطلوب لإفضائه إلى المهدد به وأن الأمرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله: [قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ])[٥٨].

ثانياً: الأساليب الخبرية، ومنها:

١- التأكيد:

يأتي أسلوب التأكيد لتقوية المعنى في نفس السامع، وأشهر أنواعه التأكيد بالتكرار، ومن أمثلة التوكيد اللفظي في القرآن قوله تعالى: [هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ] {المؤمنون:٣٦}.

وكما قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: [فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ] {البقرة:١٩٦} (كاملة: صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد أو مبينة كمال العشرة)[٥٩].

وقال البيضاوي في فائدة التكرار: (قال تعالى: [فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا] {الطَّارق:١٧} إمهالاً يسيراً والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين)[٦٠].

وفي تفسير قوله تعالى: [غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ] {الفاتحة:٧}، قال البيضاوي: (و"لا" مزيدة لتأكيد ما في "غير" من معنى النفي فكأنه قال: لا المغضوب عليهم ولا الضالين)[٦١].

وقال في هاء التنبيه بعد ياء النداء وقبل المنادى [يَا أَيُّهَا]: (وأقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيداً وتعويضاً عما يستحقه، أي: من المضاف إليه، وإنما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد)[٦٢].

وقال في تفسير قوله تعالى: [قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا] {البقرة:٣٨} ([جَمِيعًا] حال في اللفظ تأكيد في المعنى كأنه قيل: اهبطوا أنتم أجمعون)[٦٣].

وقال في تفسير قوله تعالى: [شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ] {آل عمران:١٨}: ([لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة)[٦٤].

وقال أيضاً عند قوله الله تعالى: [يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٢٦) وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ] {النساء:٢٦-٢٧}: ([وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ] كرره للتأكيد والمبالغة)[٦٥].

فأفاد البيضاوي أن التأكيد يأتي بأساليب متنوعة، منها: التكرار، والزيادة في المبنى، ويأتي مع الحال، والنداء، والنعت، وأنه يفيد **مزيد العناية بالموضوع، والمبالغة، والتأثير في نفس السامع.**

٢- القسم:

القسم جملة فعلية أو اسمية تؤكد بها جملة موجبة أو منفية، ومن شأن الجملتين أن تنزلا منزلة جملة واحدة كجملتي الشرط والجزاء[٦٦].

وأقسام القرآن بآيات الله المستلزمة لذاته وصفاته، للدلالة على أنه من عظيم آياته، كقوله تعالى: [وَالصَّافَّاتِ صَفًّا] {الصَّفات:١}، وقوله تعالى: [وَالفَجْرِ(١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ] {الفجر:١-٢}، وقوله تعالى: [فَلَا أُقْسِمُ بِالخُنَّسِ] {التَّكوير:١٥}، وقوله تعالى: [وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ] {الطَّارق:١}، ومثل هذه الأقسام كثير في القرآن.

كما نجد الإجماع عند أهل اللغة وعلوم القرآن أن الغرض من القسم التوكيد، قال ابن يعيش: (اعلم أن الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي وإثبات)[٦٧].

وقد ذكر البيضاوي ما يتعلق بالقسم عند تفسيره لآيات القسم، وأركان القسم أربعة: اجتمعت في قول الله جل وعلا: [وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ] {النحل:٣٨}.

فقوله: [وَأَقْسَمُوا] الركن الأول: فعل القسم.

وقوله : [بِاللهِ] الركن الثاني: المقسم به.

وقوله: [لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ] الركن الثالث: المقسم عليه.

(٥٧) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤١١.
(٥٨) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٣٤٨.
(٥٩) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٨١.
(٦٠) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٤٧٨.
(٦١) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٨٠.
(٦٢) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢١٦.
(٦٣) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٣٠٢.
(٦٤) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١٨.
(٦٥) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١٧٥.
(٦٦) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ٩/ ٩٠.
(٦٧) ابن يعيش: شرح المفصل ٩/ ٩٠.

والركن الرابع: هو الغاية من القسم، وهذا يختلف من قَسَم لآخر حسب الحال والمقام.

قال ابن القيم: (وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور، وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته، وبآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته .. تارة على التوحيد، وتارة على أن القرآن حق، وتارة على أن الرسول حق، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة على حال الإنسان)[٦٨].

وأشار البيضاوي في مواضع كثيرة إلى معان مهمة في أسلوب القسم، ومن ذلك: أن القسم بالتاء في القرآن بدل عن الباء وفيه معنى التعجب، وأنها مختصة باسم الله تعالى[٦٩].

وقال في موضع آخر: ([وَتَاللهِ] {الأنبياء:٥٧} وقرئ بالباء، وهي الأصل، والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وفيها تعجب)[٧٠].

قال الزمخشري: (فإن قلت: ما الفرق بين الباء والتاء؟ قلت: إن الباء هي الأصل، والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وإن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب)[٧١]، وهو كما قال في جميع المواضع.

وأفاد البيضاوي جواز حذف أحد أركان القسم وينوب عنها غيرها:

حيث قال عند قوله تعالى: [قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي] {الأعراف:١٦} (أي: بعد أن أمهلتني لأجتهدن في إغوائهم بأي طريق يمكنني بسبب إغوائك إياي بواسطتهم تسمية أو حملاً على الغي أو تكليفاً بما غويت لأجله، والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف)[٧٢].

وقوله في تفسير أول سورة الفجر [وَالفَجْرِ] {الفجر:١} بعد أن ذكر القسم: (والمقسم عليه: محذوف، وهو ليعذبن)[٧٣].

وقال: [وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ] {البقرة:١٤٥}، (ما تبعوا: جواب للقسم المضمر، والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط)[٧٤].

٣- الاستثناء:

يعتبر حرف الاستثناء (إلا) أهم أدوات الاستثناء[٧٥]، وقد ذكر العكبري العلة في كونها أصلاً لأدواته بقوله: (أصل أدوات الاستثناء لوجهين: أحدهما: أنها حرف، والموضوع لإفادة المعاني، والموضوع لإفادة المعاني الحروف كالنفي والاستفهام والنداء. والثاني: أنها تقع في جميع أبواب الاستثناء للاستثناء فقط، وغيرها في أمكنة مخصوصة، وتستعمل في أبواب أخر)[٧٦].

وقد بين البيضاوي في تفسيره ما يتعلق بأنواع الاستثناء، وفائدته في مواضع كثيرة، حيث قال في قوله تعالى: [لَا يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلَّا المَوْتَةَ الأُولَى] {الدخان:٥٦}: (الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع)[٧٧].

وينص كثيراً على أن هذا الاستثناء متصل أو منقطع كما قال عند قوله تعالى: [مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ] {النحل:١٠٦} (إلا من أكره: على الافتراء أو كلمة الكفر، استثناء متصل؛ لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان)[٧٨].

ومثال الثاني في قوله تعالى: [وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ] {البقرة:٧٨} حيث قال: (إلا أماني: استثناء منقطع)[٧٩].

أو يجوز الوجهان[٨٠].

٤- الشرط:

تُعد أداة الشرط (إن) أُم هذا الباب، كما عدها النحاة[٨١].

يتنوع الشرط إلى شرط جازم وشرط غير جازم حسب أدواته، ويقوم أسلوب الشرط على التركيب والترابط بين الشرط والجواب، ويتم الاتصال بينهما بمجموعة من الأدوات، تختلف في طبيعتها ووظائفها التي وضعت لها.

وقد تطرق لها جميعاً البيضاوي في تفسيره، وبيَّن الدلالات المعنوية التي دل عليها الشرط، ومن أمثلة ذلك:

قوله: (الشرط للتبكيت والإلزام في قوله تعالى: [فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] {النحل:٤٣})[٨٢].

فبين معنى الشرط وأنه يفيد التبكيت والإلزام.

وقال البيضاوي مبيناً معنى أداة الشرط لو: (ولو: من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الأول لانتفاء الثاني، ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه)[٨٣].

---

(٦٨) ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن ص ٦.
(٦٩) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٣٠١.
(٧٠) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٩٨.
(٧١) الزمخشري: الكشاف ٣/ ١٢٣، أبو حيان: البحر المحيط ٥/ ٣٢٧، أبو السعود: تفسير أبي السعود ٤/ ٢٩٥.
(٧٢) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٩.
(٧٣) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٤٨٧.
(٧٤) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٢٢.
(٧٥) ابن يعيش: شرح المفصل ٢/ ٧٢.
(٧٦) العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٣٠٢.
(٧٧) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٢٧، ٥/ ١٦٥.
(٧٨) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٤٢١، ٥/ ١٥٦.
(٧٩) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٣٤٩، ٥/ ١٤.
(٨٠) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ١٦٥.
(٨١) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ٧/ ٤١.
(٨٢) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٤٠٠.
(٨٣) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢٠٨.

وقال أيضاً: ([قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا] {البقرة:٢٤٦} فصل بين عسى وخبره بالشرط، والمعنى: أتوقع جبنكم عن القتال إن كتب عليكم؛ فأدخل هل على فعل التوقع مستفهماً عما هو المتوقع عنده تقريراً وتثبيتاً)[٨٤].

وقال أيضاً في بيان أصل (مهما) من قوله تعالى: [وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ] {الأعراف:١٣٢} (أصلها ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به)[٨٥].

وبين البيضاوي الشرط المحذوف حينما يمر ذلك في تفسير الآيات وسبب الحذف، كما في قوله تعالى: [فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ] {البقرة:١٨٤} قال: (على تقدير: إن أفطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف إليه للعلم بها)[٨٦].

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة المبثوثة في تفسيره رحمه الله.

المبحث الثاني: المنهج اللغوي في تفسيره.

لقد هيأ البيضاوي لنفسه ما ينبغي أن يتوافر لتفسير كتاب الله تعالى من معارف وعلوم وإمكانات؛ فأعد نفسه لشرف هذه المهمة.

يُضاف إلى ذلك ما وهبه الله من الذوق الأدبي اللغوي الرائع، والأسلوب الشيق الماتع؛ مما كان له الأثر البين في براعته اللغوية، وتمكنه من معالجة المسائل اللغوية في ثنايا التفسير.

اتضح ذلك جلياً في تحليله العميق للألفاظ، ومعرفته باشتقاقها، وذكره لجميع الأوجه والاحتمالات اللغوية، وهو يناقش الآراء المتعلقة بمسائلها، في سياق عرضه للأقوال والتأويلات الواردة في آيات القرآن الكريم، ومن أبرز المعالم في منهجه اللغوي في تفسيره:

١- الاختصار:

يظهر لنا جلياً حرص البيضاوي على الاختصار في كل مؤلفاته، دون إخلال أو تفويت للمعنى المقصود، فهو أستاذ في هذا الفن وبارع فيه، وذلك بالمقارنة بين كتبه المختصرة مع أصلها، ومع ذلك فله إضافات قيمة، وعبارات دقيقة، وتعليقات لطيفة، وللتوضيح بالمثال أنقل بالنص مثالاً من أول سورة البقرة مقارناً بينه وبين تفسير الزمخشري:

قال الزمخشري: ([مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا] {البقرة:١٧} لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان، ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيَّل في صورة المحقَّق، والمتوهَم في معرض المتيقَّن، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبي، ولأمر ما! أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء، قال الله تعالى: [وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ] {العنكبوت:٤٣} ومن سور الإنجيل سورة الأمثال، والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير، يقال: مَثَل ومثْل ومَثِيل كشَبَه وشِبْه وشبيه، ثم قيل للقول السائر: الممثَّل مضربُه بمورِدِه مَثَل، ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه، ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير، فإن قلت ما معنى: [مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا]{البقرة:١٧}؟ وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد ناراً حتى شبه أحد المثلين بصاحبه؟ قلت: قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال، أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة؛ كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً، وكذلك قوله: [مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ]{الرعد:٣٥} أي: وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة، ثم أخذ في بيان عجائبها، [وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى] {النحل:٦٠} أي: صفتهم وشأنهم المتعجب منه، ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا: فلان مثله في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن..إلخ)[٨٧].

وقال البيضاوي: ([مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا] {البقرة:١٧} لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير؛ فإنه أوقع في القلب وأقمع للخصم الألد؛ لأنه يريك المتخيَّل محققاً، والمعقول محسوساً، ولأمر ما! أكثر الله في كتبه الأمثال، وفشت في كلام الأنبياء والحكماء، والمثل في الأصل: بمعنى النظير، يقال: مَثَل ومِثْل ومَثِيل كشَبَه وشِبْه وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده، ولا يضرب إلا ما فيه غرابة، ولذلك حوفظ عليه من التغيير، ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله تعالى: [مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ]{الرعد:٣٥}، وقوله تعالى: [وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى] {النحل:٦٠} والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد ناراً)[٨٨].

فهذا مثال واضح في اختصاره مواضع من الزمخشري وغيره كثير؛ فالبيضاوي اختصر ووضح ويسر دون إخلال بالمعنى؛ بل علق وأضاف إضافات مهمة بعبارات سهلة.

(٨٤) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٥٣٩.
(٨٥) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٥٢.
(٨٦) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٦٢.
(٨٧) الزمخشري: الكشاف ١/ ١٠٩.
(٨٨) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ١٨٦.

٢- دقة العبارات:

مع قولنا أن البيضاوي تميز بالاختصار، فهو دقيق في اختيار العبارات لجمع المعاني بأقصر أسلوب، وهو إمامٌ في اختيار العبارات الجامعة، أو بالاقتصار على ما يدل عليه المعنى، فجمع بين قصْر الإيجاز، وقصر الحذف.

فقد اشتمل تفسير البيضاوي على خلاصة أقوال أكابر الأئمة، وصفوة آراء أعلام الأُمة، في تفسير القرآن وتحقيق معانيه، والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه، مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، والتلخيص العاري عن الإضلال.

ودقته تظهر عند الاختيار أو التوجيه لبعض الألفاظ أو القراءات، كما في قوله: ((وَالأَرْحَامَ] {النساء:١} بالنصب عطف على محل الجار والمجرور، كقولك: مررت بزيد وعمراً، أو على الله، أي: اتقوا الله واتقوا الأرحام فصِلوها ولا تقطعوها، وقرأ حمزة: بالجر عطفاً على الضمير المجرور، وهو ضعيف؛ لأنه كبعض الكلمة، وقرئ بالرفع: على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره: والأرحام كذلك، أي: مما يتقى أو يتساءل به)[٨٩].

فعلل ضعف القراءة بضعف العطف على الضمير، ووصفه بأنه كبعض الكلمة.

وقال أيضاً في بيان الألفاظ: ((فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ] {البقرة:١٧٨} أي: شيء من العفو؛ لأن عفا لازم، وفائدته: الإشعار بأن بعض العفو كالعفو التام في إسقاط القصاص، وقيل: عفا بمعنى ترك، وشيء: مفعول به، وهو ضعيف إذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه، بل أعفاه وعفا يعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب، قال الله تعالى: [عَفَا اللهُ عَنْكَ] {التوبة:٤٣} وقال: [عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ] {المائدة:٩٥} فإذا عدي به إلى الذنب عدي إلى الجاني باللام، وعليه ما في الآية كأنه قيل: فمن عفي له عن جنايته من جهة أخيه يعني ولي الدم)[٩٠].

فذكر المعنى، وعلل، ثم عقبه بفائدة، ثم ذكر معنى آخر وضعفه لعدم ثبوته بهذا المعنى، واستدل بآيات أخرى، وفصل في التعدية بإلى واللام زيادة في الإيضاح.

وقال البيضاوي: ((وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا] {المائدة:٢} إذنٌ في الاصطياد بعد زوال الإحرام، ولا يلزم من إرادة الإباحة ههنا من الأمر دلالة الأمر الآتي بعد الحظر على الإباحة مطلقاً، وقرئ: بكسر الفاء على إلقاء حركة الوصل عليها وهو ضعيف جداً، وقرئ: [أَحْلَلْتُمْ] {المائدة:٢} يقال: حل المحرم وأحل)[٩١].

(٨٩) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١٣٩.
(٩٠) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٥٧.
(٩١) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٢٩١.

فاستدرك وبين أنه لا يلزم من تفسيره الإطلاق في المعنى بل سيبين المراد في موضعه الآتي، واهتم بالقراءات لاهتمامه باللغة مع تضعيفه للضعيف منها.

وقال في تفسير قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] {البقرة:٢١}: ([لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] {البقرة:٢١} حال من الضمير في: [اعْبُدُوا] {البقرة:٢١} كأنه قال: اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوار الله تعالى، نبه به على أن التقوى منتهى درجات السالكين، وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى إلى الله، وأن العابد ينبغي أن لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء، قال تعالى: [يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا] {السجدة:١٦}، [وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ] {الإسراء:٥٧} أو من مفعول: [خَلَقَكُمْ] والمعطوف عليه، على معنى: أنه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى؛ لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي إليه، وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعاً، وقيل: تعليل للخلق، أي: خلقكم لكي تتقوا كما قال: [وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] {الذاريات:٥٦} وهو ضعيف إذ لم يثبت في اللغة مثله)[٩٢].

فاهتم بذكر أوجه الإعراب الموضحة للمعنى، وعلل ضعف الوجه الأخير بأنه لم يثبت في اللغة مثله، واحتاط في تفسير قوله تعالى: [وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا] حيث استدرك أنه لا يلزم من تفسيره هنا إطلاق الحكم على غيره.

٣- الاحتجاج بالحديث على معنى لغوي:

ومما تميز به البيضاوي في منهجه اللغوي احتجاجه بالحديث على معنى لغوي؛ كما قال في معنى قوله تعالى: [قُرُوءٍ] {البقرة:٢٢٨}: (جمع قرء، وهو يطلق للحيض، كقوله عليه الصلاة والسلام: "دعي الصلاة أيام أقرائك"[٩٣]، وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الأعشى:

مؤرثة مالاً وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا[٩٤]

وأصله: الانتقال من الطهر إلى الحيض، وهو المراد به في الآية؛ لأنه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية[٩٥]، لقوله تعالى: [فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ] {الطَّلاق:١} أي: وقت عدتهن،

(٩٢) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢٢٠-٢٢١.
(٩٣) أخرجه الترمذي باب ما جاء أن المستحاضة تتوضأ لكل صلاة (١٢٦)، وابن ماجة (٦٢٥) ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١/ ٤٠ (١٠٩).
(٩٤) ينظر: المبرد: الكامل في اللغة ١/ ١٢٠.
(٩٥) قال الجصاص: (قد حصل من اتفاق السلف وقوع اسم الأقراء على المعنيين من الحيض ومن الأطهار من وجهين، أحدهما: أن اللفظ لو لم يكن محتملاً لهما لما تأوله السلف عليهما لأنهم أهل اللغة والمعرفة بمعاني الأسماء وما يتصرف عليه المعاني من العبارات ...) إلى أن قال: (.. ومن جهة أخرى أن هذا الاختلاف قد كان شائعاً بينهم مستفيضاً، ولم ينكر واحد منهم على مخالفيه في مقالته، بل سوغ له القول فيه ..) أحكام القرآن ١/ ٤٤١.

والطلاق المشروع لا يكون في الحيض، وأما قوله عليه الصلاة والسلام: "طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان"[٩٦] فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر: "مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء"[٩٧]، وكان القياس أن يذكر بصيغة القلة التي هي الأقراء؛ ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الآخر، ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الأقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها)[٩٨].

فاستدل البيضاوي على هذه المعاني اللغوية من النصوص النبوية، وقد اتفق أهل اللغة على أن المراد بالقرء: الوقت[٩٩].

قال الجوهري: (وإنما القرء الوقت، فقد يكون للحيض، وقد يكون للطهر..)[١٠٠].

وقال ابن العربي: (.. وأوصيكم ألا تشتغلوا الآن بذلك لوجوه؛ أقربها: أن أهل اللغة قد اتفقوا على أن القرء الوقت)[١٠١].

وقال البيضاوي: ([إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ] {البقرة:١٣٠} إلا من استهنها وأذلها واستخف بها، قال المبرد وثعلب: سفه بالكسر متعد، وبالضم لازم، ويشهد له ما جاء في الحديث: "الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس"[١٠٢] ...)[١٠٣]. فاستشهد بالحديث على المعنى اللغوي المذكور لمعنى السفه.

٤- الشواهد الشعرية:

أكثر البيضاوي من الاستشهاد بالشعر بل وتوسع في ذلك فضمَّن تفسيره جميع طبقات الشعراء: فاستشهد بشعر الجاهليين، كبيت حاتم الطائي، في قوله تعالى: [حَذَرَ الْمَوْتِ] {البقرة:١٩} حيث قال: (نُصب على العلة، كقوله:

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأصفح عن شتم اللئيم تكرما[١٠٤])[١٠٥].

وكذا استشهد بشعر المخضرمين كشعر حسان بن ثابت على جواز عود الضمير على المضاف المحذوف، حيث يقول: ([يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ] {البقرة:١٩} الضمير لأصحاب الصيب، وهو وإن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه لكن معناه باق؛ فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان في قوله:

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل[١٠٦]

حيث ذَكَّر الضمير لأن المعنى ماء بردى، والجملة استئناف، فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول، قيل: فكيف حالهم مع مثل ذلك فأجيب بها)[١٠٧].

وكاستشهاده بشعر الحطيئة على نصب الفعل المضارع بعد واو المصاحبة في جواب الاستفهام حيث قال: (قوله تعالى: [وَيَذَرَكَ] {الأعراف:١٢٧} عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة:

ألم أك جارك ويكون بيني وبينكم المـودة والإخـاء[١٠٨]

على معنى: أيكون منك ترك موسى ويكون منه تركه إياك)[١٠٩].

واستشهد أيضاً بشعر الإسلاميين على جواز الإبدال من الضمير المجرور في ببيت الفرزدق، حيث قال في تفسير قوله تعالى: [يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ(١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ..]. {آل عمران ١٦٧-١٦٨}.

([الَّذِينَ قَالُوا] {آل عمران:١٦٨} رفع بدلا من واو [وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ] {آل عمران:١٦٧}، أو نصب على الذم، أو الوصف للذين نافقوا، أو جر بدلاً من الضمير في [بِأَفْوَاهِهِمْ] {آل عمران:١٦٧}، أو [قُلُوبِهِمْ]، كقوله: على حالة لو أن في القوم حاتماً على جوده لضن بالماء حاتم)[١١٠].

فحاتم: بدل من الضمير المجرور في جوده[١١١].

ومع إجماع العلماء على ترك الاحتجاج بشعر المحدثين إلا أنه تبع الزمخشري في تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة[١١٢].

---

(٩٦) أخرجه الترمذي في أبواب الطلاق واللعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء أن طلاق الأمة تطليقتان (١١٨٢) وأبو داود كتاب الطلاق باب في سنة طلاق العبد (٢١٩١) وقال حديث مجهول، وضعفه الألباني ٢/ ٢٢٣.

(٩٧) أخرجه البخاري كتاب الطلاق باب قول الله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا] {الطَّلاق:١} (٥٢٥١) ، ومسلم كتاب الطلاق (١٤٧١) .

(٩٨) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٥١٤-٥١٥.

(٩٩) ينظر : ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٥/ ٧٩ ، الأصفهاني: المفردات ٤٤٥.

(١٠٠) الجوهري: الصحاح ١/ ٥٠.

(١٠١) ابن العربي: أحكام القرآن ١/ ٢٥٠.

(١٠٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه باب الشعر (٢٠٥٢٠) ١١/ ٢٧١، ولفظه في صحيح مسلم: "الكبر بطر الحق وغمط الناس" (٩١) ١/٩٣.

(١٠٣) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٠٣.

(١٠٤) ديوان حاتم ٥٦.

(١٠٥) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢٠٤.

(١٠٦) ديوان حسان بن ثابت ١٦٥.

(١٠٧) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢٠٣.

(١٠٨) ديوان الحطيئة ١٢، بلفظ: ألم أك مسلماً فيكون بيني وبينكم المـودة والإخـاء.

(١٠٩) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٥٠.

(١١٠) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١١٣.

(١١١) ينظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٨٨.

(١١٢) انظر: الزمخشري: الكشاف ١/ ١١٩.

فاستشهد بشعر المحدثين، في تفسير قوله تعالى: [يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا] {البقرة:٢٠}.

حيث قال: (وكذلك [أَظْلَمَ] فإنه جاء متعدياً منقولاً من ظلم الليل، ويشهد له قراءة: أُظلم على البناء للمفعول، وقول أبي تمام:

هما أَظلما حالَيَّ ثُمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيبِ[١١٣]

فإنه وإن كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه)[١١٤].

فاستشهد به على أن (أظلم) يستعمل متعدياً كما يستعمل لازماً.

ولكن لا يوافق على هذا الاستشهاد في باب الاحتجاج؛ لمخالفة الإجماع، وأما في باب التمثيل فلا بأس.

والاستشهاد به هو عمل الزمخشري في الكشاف فقد استشهد به، وبقول العباس بن الأحنف على الفاء الفصيحة عن شرطٍ محذوف:

حيث قال: ([فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ...] {الفرقان:١٩} هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة، وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول، ونحوها قوله تعالى: [أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] {المائدة:١٩} وقول القائل:

قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا)[١١٥].

وحقيقة هذه الفاء أنها في جواب شرطٍ محذوف يدل عليه الكلام؛ كأنه قال: إن صح ما قلتم إن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان[١١٦].

٥- الاهتمام بذكر العلل النحوية والإعرابية:

مما يدل على تضلع البيضاوي في اللغة أنه أكثر في تفسيره من ذكر العلل النحوية والإعرابية التي ذكرها علماء أصول النحو، وفيما يلي ذكر لأبرز الأمثلة على ذلك:

-التعليل بالتأكيد:

ومثاله في قوله تعالى: [وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا] {البقرة:١٤٨} قال البيضاوي: (بالإضافة، والمعنى: وكلٌّ وجهةِ الله موليها أهلها واللام مزيدة للتأكيد)[١١٧].

وفي قوله تعالى: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ] {آل عمران:١٥٩} قال البيضاوي: (أي: فبرحمة، وما: مزيدة للتأكيد)[١١٨].

وفي قوله تعالى: [وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ] {مريم:٢٥} قال البيضاوي: (وأميليه إليك، والباء مزيدة للتأكيد)[١١٩].

وفي قوله تعالى: [وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ] {فصّلت:٣٤} قال البيضاوي: (في الجزاء وحسن العاقبة و [وَلَا] الثانية مزيدة لتأكيد النفي)[١٢٠].

-التعليل بالتشابه:

ومثاله ما ذكره البيضاوي في (إنَّ) وأنها تشبه الفعل حيث قال: (وإنَّ: من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف، والبناء على الفتح، ولزوم الأسماء، وإعطاء معانيه، والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين؛ ولذلك أعملت عمله الفرعي؛ وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني)[١٢١].

-التعليل بالاستغناء:

ومثاله في قوله تعالى: [وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ] {البقرة:٣٦} فهي عند البيضاوي: حال استغني فيها عن الواو بالضمير، والمعنى: متعادين يبغي بعضكم على بعض[١٢٢].

ومثاله أيضاً حذف المفعول في قوله تعالى: [مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى] {الضُّحى:٣} استغناء بذكره من قبل[١٢٣].

وكذلك الاستغناء بوصف المبتدأ عن تقديم الخبر، في قوله تعالى: [وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ] {الأنعام:٢} والاستئناف به لتعظيمه، ولذلك نكر ووصف بأنه مسمى، أي: مثبت معين لا يقبل التغيير، وأخبر عنه: بأنه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة؛ ولأنه المقصود بيانه[١٢٤].

---

(١١٣) ديوان أبي تمام ٦٩.

(١١٤) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢٠٧، وينظر: ٥/ ١٣٨.

(١١٥) الزمخشري: الكشاف ٣/ ٢٧٥-٢٧٦.

(١١٦) ينظر: ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٢/ ٩٨.

(١١٧) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٢٥.

(١١٨) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١٠٨.

(١١٩) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ١١.

(١٢٠) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ١١٥، وانظر مزيداً من الأمثلة: ٢/ ٢١٠، ٥/ ٢٩٢.

(١٢١) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ١٣٦.

(١٢٢) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢٩٨.

(١٢٣) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٥٠١.

(١٢٤) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٣٩٠، وانظر مزيداً من الأمثلة: ٤/ ٤٢٣، ٥/ ١٧٤.

-التعليل بالاستثقال:

ومثاله ما ذكره البيضاوي في تفسير قوله تعالى: [وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ] {آل عمران:٨١} (لما: بمعنى حين آتيتكم، أو لمن أجل ما آتيتكم، على أن أصله (لمن ما) بالإدغام فحذف إحدى الميمات الثلاث استثقالاً)[١٢٥].

وفي قوله تعالى: [فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ] {الأعراف:٤}

قال البيضاوي: ([أَوْ هُمْ قَائِلُونَ] عطف عليه؛ أي: قائلين نصف النهار كقوم شعيب؛ وإنما حذفت واو الحال استثقالاً لاجتماع حرفي العطف، فإنها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فإنه غير فصيح)[١٢٦].

وفي قوله تعالى: [وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ] {الأعراف:١٣٢}، قال البيضاوي: ([مَهْمَا] أصلها: ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استثقالاً للتكرير)[١٢٧].

وهكذا قال الزمخشري ورجحه: (إلاّ أنّ الألف قلبت هاء استثقالاً لتكرير المتجانسين، وهو المذهب السديد البصري)[١٢٨].

وعليه، فقد راعى البيضاوي التعليل في كثير من المواضع حتى صار سمة بارزة له في التفسير، وهذا دليل على تمكنه اللغوي، بل كثيراً ما يذكر أكثر من علة في الموضع الواحد اهتماماً منه في تحليل المسائل، والتدرج في العلل للوصول إلى الحقيقة والاقتناع.

٦- اهتمام البيضاوي في الإعراب:

يهتم البيضاوي بإعراب كثير من الجمل عند تفسيرها، لما لذلك من أهمية في بيان المعنى، وبالإعراب تتبين أغراض المتكلم ومقاصده، فلا عجب أن يهتم المفسر بهذا الجانب التطبيقي في تفسيره، ويتفاوت اهتمام المفسرين به حسب مناهجهم في التأليف.

والمشهور أن الإعراب: هو اختلاف أواخر الكلمات حسب اختلاف العوامل لفظاً وتقديراً[١٢٩].

فالبيضاوي: يكثر من ذكر وجوه الإعراب الظاهرة في النص الذي يعربه، لتعدد أراء النحاة، واحتمالات اللفظ أحياناً، وقد سبقت أمثلة تدل على ذلك عند الحديث عن دقة البيضاوي في الإعراب وذكر الوجوه الصحيحة والضعيفة، ومن ذلك قوله في إعراب لفظ (كلالة) في قوله تعالى: [يُورَثُ كَلَالَةً] {النساء:١٢}: (خبر كان، أو يورث خبره، وكلالة: حال من الضمير فيه، وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا، أو مفعول له)[١٣٠].

وفي قوله تعالى: [وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ] {المائدة:٦} قال البيضاوي: (نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفاً على وجوهكم، ويؤيده: السنة الشائعة، وعمل الصحابة، وقول أكثر الأئمة، والتحديد؛ إذ المسح لم يحد، وجره الباقون على الجوار، ونظيره كثير في القرآن والشعر، كقوله تعالى: [عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ] {هود:٢٦} [وَحُورٍ عِينٍ] {الواقعة:٢٢} بالجر في قراءة حمزة والكسائي، وقولهم: جحر ضبٍّ خربٍ، وللنحاة باب في ذلك، وفائدته التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها، ويغسل غسلاً يقرب من المسح، وفي الفصل بينه وبين أخويه إيماء على وجوب الترتيب)[١٣١].

فهنا أعرب البيضاوي (وأرجلكم) بالجر على الجوار مع أنها لغة ضعيفة شاذة لا يعرج عليها[١٣٢]، فهو يستطرد ويتفنن في عرض أوجه الإعراب، وخصوصاً ما له علاقة بالمعنى.

٧- الترجيح لوجه من الإعراب أو لمعنى بالقراءات:

المطّلع على تفسير البيضاوي يرى اهتماماً كبيراً بالقراءات وذِكرها ونسبتها وتوجيهها، ومما يدل على عنايته بالقراءات أنه بعضد بعض الأقوال ويرجحها بأحد القراءات الواردة في الآية، ومن ذلك في قوله تعالى: [ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً] {البقرة:٧٤} قال البيضاوي: ([أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً] منها والمعنى: أنها في القساوة مثل الحجارة أو أزيد عليها، أو أنها مثلها، أو مثل ما هو أشد منها قسوة كالحديد؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفاً على الحجارة)[١٣٣].

وفي قوله تعالى: [إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ] {الصَّفات:٦}، قال البيضاوي: ([بِزِينَةٍ] هي: [الكَوَاكِبِ] والإضافة للبيان، ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر [الكَوَاكِبِ] على إبدالها منه)[١٣٤].

وفي قوله تعالى: [وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا] {الإسراء:١٣}، قال البيضاوي: [وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَابًا] هي صحيفة عمله، أو نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن الأعمال الاختيارية تحدث في النفس أحوالاً، ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات، ونصبه بأنه مفعول، أو حال من

(١٢٥) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٥٩.
(١٢٦) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٥.
(١٢٧) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٥٢.
(١٢٨) الزمخشري: الكشاف ٢/ ١٣٧.
(١٢٩) انظر: أبو حيان: البحر المحيط ٤/ ١٩٢، والسيوطي: الإتقان ١/ ٥٧٩.
(١٣٠) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١٥٦.
(١٣١) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٣٠٠-٣٠١.
(١٣٢) انظر: الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٦١٥.
(١٣٣) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٣٤٥-٣٤٦.
(١٣٤) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٤.

مفعول محذوف، وهو ضمير الطائر، ويعضده قراءة يعقوب[135])[136].

وفسر البيضاوي: [فَأَزَلَّهُمَا] {البقرة:٣٦}، بمعنى: أذهبهما معتضداً بقراءة حمزة فأزالهما[137]، وهما متقاربان في المعنى[138].

وقد أشار إلى اهتمامه بالقراءات في مقدمته، حتى الشواذ، وظهر هذا جلياً في ترجيحاته بين الأقوال.

٨- الاستطراد في النحو والصرف والإعراب:

من السمات الظاهرة في تفسير البيضاوي استطراده في مسائل النحو والصرف في كثير من الآيات، ويبالغ أحياناً حتى يغيب على القارئ معنى الآية التي يفسرها، فعندما جاء لتفسير قوله تعالى: [الم] {البقرة:١} قال: (واعلم أن الآية تحتمل أوجهاً من الإعراب: أن يكون [الم] مبتدأ على أنه اسم للقرآن، أو السورة، أو مقدر بالمؤلف منها، وذلك: خبره، وإن كان أخص من المؤلف مطلقاً، والأصل أن الأخص لا يحمل على الأعم؛ لأن المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ أقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة، والكتاب صفة ذلك، وأن يكون [الم] خبر مبتدأ محذوف، وذلك: خبراً ثانياً، أو بدلاً، والكتاب: صفته..)[139].

وفي قوله تعالى: [أَرَأَيْتَكُمْ] {الأنعام:٤٠} قال: (استفهام تعجب، والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب؛ لأنك تقول: أرأيتك زيداً ما شأنه! فلو جعلت الكاف مفعولاً كما قاله الكوفيون لعديت الفعل إلى ثلاثة مفاعيل، وللزم في الآية أن يقال: أرأيتموكم بل الفعل معلق، أو المفعول محذوف، تقديره: أرأيتكم آلهتكم تنفعكم إذ تدعونها..)[140].

وفي موضع آخر قال في إعراب [وَالطَّيْرَ] من قوله تعالى: [وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ] {سبأ:١٠}: (عطف على محل الجبال، ويؤيده القراءة بالرفع عطفاً على لفظها تشبيهاً للحركة البنائية العارضة بالحركة الإعرابية، أو على [فَضْلًا] أو مفعول معه لـ [أَوِّبِي] وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره، وكان الأصل: ولقد آتينا داود منا فضلاً تأويب الجبال والطير، فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لأمره في نفاذ مشيئته فيها)[141].

وفي قوله تعالى: [وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] {البقرة:٣٩} قال البيضاوي: (عطف على [فَمَنْ تَبِعَ] {البقرة:٣٨} إلى آخره، قسيم له؛ كأنه قال: ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته، أو كفروا بالآيات جَنَاناً وكذبوا بها لساناً، فيكون الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور، والآية في الأصل: العلامة الظاهرة، ويقال للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته، ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل، واشتقاقها من: آي؛ لأنها تبين أياً من أي، أو من أوى إليه، وأصلها أأية، أو أوية، كتمرة فأبدلت عينها ألفاً على غير قياس، أو أيية أو أوية، كرمكة فأعلت، أو آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفاً)[142].

ومن الأمثلة على ذلك توسع البيضاوي في النحو والصرف قوله في تفسير قوله تعالى: [فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ] {البقرة:١٩٨} (دفعتم منها بكثرة، من أفضت الماء إذا صببته بكثرة، وأصله: أفضتم أنفسكم، فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة و[عَرَفَاتٍ] جمع سمي به؛ كأذرعات، وإنما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لأن تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين؛ ولذلك مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف، وهنا ليس كذلك، أو لأن التأنيث إما أن يكون بالتاء المذكورة، وهي ليست تاء تأنيث، وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث، أو بتاء مقدرة؛ كما في سعاد، ولا يصح تقديرها؛ لأن المذكورة تمنعه من حيث إنها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت ..)[143].

الخاتمة:

الحمد لله حمداً يملأ الأرض والسماء، حمداً يليق بجلاله، فهو أهل الحمد والثناء، أعان ووفق وأنعم علي بإكمال هذا البحث، والذي تناول منهج البيضاوي اللغوي في تفسيره، وهو الإمام المتفنن في أنواع العلوم، جمع بين الفقه وأصوله، واللغة وفروعها، والتفسير والمنطق، وغيرها فأودعها في هذا التفسير مما أضفى عليه قيمة علمية متميزة، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

١- أن البيضاوي جمع في تفسيره علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب وغيرها، فيمكننا تصنيفه ضمن الاتجاه اللغوي البياني في التفسير.

٢- تأثر البيضاوي كثيراً بالزمخشري في المنهج اللغوي، فربما وافقه بما خالف فيه إجماع أهل اللغة، وأهل الحديث، ووافقه في نقله من مصادر التفسير اللغوية.

(١٣٥) قرأ يعقوب: [وَيَخْرُجَ] بياء مفتوحة وضم الراء، جمال الدين: القراءات العشر المتواترة ٢٨٣.

(١٣٦) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٤٣٥.

(١٣٧) قرأ حمزة: [فَأَزَالَهُمَا] بألف مع تخفيف اللام، جمال الدين: القراءات العشر المتواترة ٦.

(١٣٨) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢٩٧-٢٩٨.

(١٣٩) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ١٠١.

(١٤٠) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٤٠٧.

(١٤١) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٣٩٣.

(١٤٢) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٣٠٣.

(١٤٣) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٨٣-٤٨٤، وينظر: ٤/ ٣١٧.

٣- اهتمام البيضاوي بالمعنى، ومراعاة التفسير بسياق الآية، فيقدم القول النحوي الذي يتوافق مع معاني القرآن كثيراً.

٤- عناية البيضاوي في تفسيره بأغلب الأساليب اللغوية الإنشائية والخبرية وبيان أثرها في المعنى.

٥- امتاز تفسير البيضاوي بدقة العبارات والاختصار مع الشمولية بألفاظ جامعة ومعان وافية، ولذلك كثرت الحواشي عليه شرحاً وتعليقاً.

٦- فسر البيضاوي ألفاظ القرآن على ما عرفته العرب في معاني نطقها، وما ورد عنهم، ووسع استشهاده اللغوي فاستشهد بشعر المحدثين، وقد يستشهد بلغة ضعيفة لتقوية المعنى الذي يميل إليه.

٧- البيضاوي يستعين بالقراءات في تقوية تفسيره، ويبين الفرق اللغوي بين القراءات وتوجيه المعاني حسب القراءات الواردة في الكلمة القرآنية، ويميل للقراءة التي تتوافق مع السياق القرآني.

٨- اهتم البيضاوي بذكر العلل النحوية مما يدل على تضلعه في اللغة.

٩- استطرد البيضاوي في النحو والصرف والإعراب وهذا مما يؤخذ عليه في بعض المواضع لأنها تخرج بالقارئ عن أساس التفسير.

الخاتمة:

١- الاهتمام بتفسير البيضاوي لما فيه من الكنوز العلمية اللغوية ودراسة منهج البيضاوي في جوانب الإعراب والنحو والصرف وغيرها.

٢- ولأن تفسير البيضاوي لم يلق عناية في الطباعة تليق بقيمته العلمية، فأقترح إعادة الطباعة لهذا السفر المهم وتحقيقه بإشراف المتخصصين في القرآن وعلومه والمحققين من أهل العلم، وإذا كانت معه حاشية الشهاب فهو أكمل للمشروع، مع مراعاة تجريده من الأحاديث الموضوعة التي ذكرها في أواخر كل سورة حسب آلية علمية منهجية.

٣- جمع ترجيحات البيضاوي اللغوية ودراستها في بحث مستقل.

٤- دراسة العلل النحوية من خلال تفسير البيضاوي.

والله أسأل في ختام هذا البحث أن يكتب لنا الخير في الدنيا والآخرة، وأن يبارك لنا في جميع شؤوننا، وأن يحفظنا من كل سوء ومكروه، وأن يرقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يعيذنا من فتن الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المراجع

ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت ، ١٩٩٥م، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

ابن العربي: أحكام القرآن، محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي) الناشر: دار الكتب العلمية.

ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد الدمشقي، الناشر: دار الكتب العلمية.

ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن، دراسة وتحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، لبنان.

ابن شهبة: طبقات الشافعية، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار النشر: هجر للطباعة، والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي.

ابن عاشور: التفسير ورجاله، لمُحمَّد الفَاضِل بن عاشُور -مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، ١٣٩٠هـ.

ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.

ابن كثير: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، الناشر: مكتبة المعارف – بيروت.

ابن ماجة: سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

ابن هشام: مغني اللبيب، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، الناشر: دار الفكر -بيروت- الطبعة السادسة ، ١٩٨٥م ، تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله.

ابن يعيش: شرح المفصل،

أبو السعود: تفسير أبي السعود، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت-

أبو حيان: البحر المحيط، تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار النشر / دار الفكر.

أبو داود: سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر: دار الفكر، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

الإسنوي: طبقات الشافعية، لجمال الدين الإسنوي، مطبعة الإرشاد بغداد/ ١٣٩٠هـ.

الإسنوي: نهاية السول شرح منهاج الوصول، للإمام جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار النشر / دار القلم - دمشق.

الألباني: صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني.

الألباني: صحيح وضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني.

الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، الناشر: دار الفكر – دمشق.

البخاري: الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الناشر: دار الشعب –القاهرة، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول سنه ١٩٥١م.

البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار النشر : دار الفكر – بيروت.

البيهقي: شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

الترمذي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

الجصاص: أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٥هـ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي.

جمال الدين: القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الرابعة ١٤٣٢هـ.

الجوهري: الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، الناشر: دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة: الرابعة- يناير ١٩٩٠م.

حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله المشهور بحاجي خليفة، الطبعة: مكتبة المثنى العراق، ١٩٤١م.

الحموي: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر : دار الفكر –بيروت.

ديوان أبي تمام، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، تحقيق: شاهين عطية.

ديوان الحطيئة، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ.

ديوان حاتم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

الذهبي: التفسير والمفسرون، لمحمد بن حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة الطبعة السادسة ١٤١٦هـ.

الزركشي: البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، الناشر: دار المعرفة -بيروت، ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمود الطناحي، د. عبدالفتاح الحلو.

سيبويه: الكتاب، لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، دار النشر: دار الجيل، بيروت، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٤هـ.

السيوطي: نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: جامعة أم القرى -كلية الدعوة وأصول الدين، عام النشر: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م.

الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

عبدالرزاق: المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.

عبدالعزيز حاجي: البيضاوي مفسراً، دمشق دار الحسين، ١٤٢٠هـ.

العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٩٥م.

المبرد: الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

محمد إدريس: اهتمام مفسري القرن الحادي عشر بتفسير البيضاوي أسبابه ومظاهره، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية.

محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، الناشر: دار الفكر -بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني لابن أُمّ قَاسِم المرادي،

مسلم: صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

يوسف أحمد علي: البيضاوي ومنهجه في التفسير، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى.

Abstract

In this research, there is a declaration for the Linguistic Approach in the book: (The Glories of Revelation and The Secrets of Interpretation) by Al-Baidawi, May Allah be merciful to him.

Research Objective: To demonstrate the features of the linguistic approach in the interpretation of Al-Baidawi .

Research Plan:

- Introduction: The introduction includes the importance of research, objectives, study plan, previous studies, and research methodology.
- Chapter One: Al-Baidawi and his Interpretation.
- First Topic: Al-Baidawi and his Life.
- Second Topic: Interpretation Approach of Al-Baidawi.
- Chapter Two: Linguistic Methods in the Interpretation of Al-Baidawi and his Approach .
- First Topic: Linguistic Methods in his Interpretation.
- Second Topic: Linguistic Approach in his interpretation.
- Conclusion: Research Findings and Recommendations.

Keywords: approach, Al-Baidawi, linguistic, interpretation, method, glories, revelation, secrets, interpretation.